الباب الثالث

الفصل الأول

علاقة السند بالمتن

الحديث النبوي الشريف ترتبط أجزاؤه فيما بينها ارتباطًا وثيقًا ، فمعرفة أحوال الرواة ، والإحاطة باتصال الإسناد أو انقطاعه تيسر على الباحث في المتون عمله ، وترشده إلى أدق النتائج بخلاف من يعمل على نقد المتون منعزلاً عن علوم الرجال والأسانيد .

ولا شك أن نظافة الإسناد وخلوه من أصحاب التهم والزيغ ، أو الوضع والافتراء يوجد احتمال الصحة في المتن ، وأن الانحياز عن الضعفاء والمغفلين ، أو المخلطين والملقنين يقوي ذلك الاحتمال .

قال دكتور الجوابي : « إن بين متن الحديث وإسناده ارتباطًا وثيق الصلة ، فما السند إلا طريق للمتن ، ولا يقبل من محدث بعد نشوء الإسناد أن يحدث بدونه ، بل إن الإسناد قد استمر حتى بعد تدوين الحديث ؛ لأنه خصيصة أمة الإسلام ، وأهميته جعلت سامع الخبر ينقده قبل المتن ؛ لأنه طريقه ، فينبغي التأكد منه أولاً »[1] ، بل إن اشتراط العدالة والضبط في الراوي كان من أجل النظر في أهليته لتحمل ذلك المتن النبوي .

وليس معنى ذلك أن سلامة السند تقتضي صحة المتن ؛ إذ صحة الإسناد من شروط صحة الحديث ، لكنه ليس بموجبه ؛ إذ كثيرًا ما يضع الزنادقة الأحاديث الموضوعة ويخترعون لها الأسانيد الناصعة ، فلا يهتدي لذلك إلا جهابذة النقاد ، وقد يحدث الراوي الثقة بالحديث ، ويكون المتن بعيدًا عن الصحة ، فلا يمنع ثقة الراوي من رد ما جاء به من المتون المنكرة .

---

(١) الجوابي ، جهود المحدثين في نقد متن الحديث ص٨٦ .

قال ابن الصلاح : « قولهم هذا حديث صحيح الإسناد أو حسن الإسناد ، دون قولهم هذا حديث صحيح ، أو حديث حسن »[١].

لذلك لم يسلم ابن الصلاح بصحة الأحاديث الموسومة بصحة الإسناد ، فقال : « إذا وجدنا فيما يروى من أجزاء الحديث وغيرها حديثًا صحيح الإسناد ، ولم نجده في أحد الصحيحين ، ولا منصوصًا على صحته في شيء من مصنفات أئمة الحديث المعتمدة المشهورة ، فإنا لا نتجاسر على الجزم بالحكم بصحته »[٢].

ولذلك قال ابن القيم : « ثقة الراوي شرط في صحة الحديث لا موجبه »[٣].

وأكد ابن حجر أن التقيد بصحة السند ليس صريحًا في صحة المتن ولا ضعفه ؛ بل هو على الاحتمال ، فقد تجتمع شروط صحة السند دون المتن[٤].

كذا ضعف الإسناد ليس موجبًا لرد المتن ، فقد يصيب المخطئ ، وقد يتثبت الضعيف ، كما قال ابن الصلاح : « إذا رأيت حديثًا بإسناد ضعيف فلك أن تقول : هو ضعيف بهذا الإسناد ، ولا تقول : ضعيف المتن بمجرد ضعف ذلك الإسناد »[٥].

ويذكر دكتور فاروق حمادة أن المحدثين قد تتبعوا المتون التي ظاهر أسانيدها الصحة فمحصوها للتخلص من الشذوذ والنكارة والاضطراب والإدراج والغلط[٦].

والحق أن المتن والإسناد ، وإن كنا غير متلازمين كما قال المحدثون ، فإن كلاً منهما يفتقر إلى الآخر ، ويعد وسيلة من الوسائل المساعدة على إصدار الحكم على كلٍّ منهما ، فالإسنادي يتخذ من فحص المتون التي رواها ذلك الراوي سبيلاً لتقييم مستوى ضبطه ، والحكم على درجة توثيقه ، كما أن ناقد المتون لا يقبل أثرًا بلا إسناد ، وإن حكم بصحة متن مع ضعف إسناد فلموافقة

---

(١) ابن الصلاح ، مقدمة ابن الصلاح مع محاسن الاصطلاح ص١١٣ .

(٢) علوم الحديث ص١٣ .

(٣) ابن القيم ، تهذيب السنن (٢٧٣/٣) ، مع مختصر سنن أبي داود للمنذري .

(٤) توضيح الأفكار ، (١٩٥/١ ، ١٩٦).

(٥) ابن الصلاح ، علوم الحديث ، مبحث المقلوب ص٩٢ .

(٦) دكتور فاروق حمادة ، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل ، ص٤٢٣، دار طيبة ، ط .٣، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .

ذلك المتن لمسند صحيح آخر في ذلك الباب ، كما فعل مسلم رحمه الله في المتابعات والشواهد .

● **تضعيف الراوي من قبل مروياته :**

إذا كان الباحثون في علوم الحديث اليوم يبدءون دراستهم للحكم على الحديث بالنظر في إسناده بغية الوصول إلى حكم على متنه بالقبول أو الرد ؛ فإن النقاد الأوائل كانوا يبدءون بحثهم من دراسة المتون للتعرف على أحوال الرواة ، فالحكم على راوٍ من آلاف الرواة الذين اكتظت بهم كتب الرجال والتواريخ على تعدد مشاربها لا بد أن يكون شاقًا ، فدون ذلك جمع مرويات ذلك الراوي على حدة واعتبار تلك الروايات ومقارنتها بروايات من في طبقته من الثقات الأثبات ، فيكون الحكم بعد ذلك على الراوي من خلال دراسة مروياته .

فالحكم على الراوي كان نهاية المطاف بعد عملية بحث وتنقيب ، ومقارنة ودراسة للمتون في الباب الواحد ، فكما كانت علوم الإسناد خادمة للمتن فقد قدم نقاد المتون نتائج أبحاثهم لخدمة نقاد الأسانيد والمشتغلين بالجرح والتعديل ، وقد ظهر ذلك جليًا في الحكم على الرواة المجهولين ، فقد تم معرفة أحوال ضبطهم أو وهمهم من خلال المتون التي رووها .

وقد أكد على ذلك الحافظ الذهبي رحمه الله ، وبين أن المتون المنكرة يضعف الراوي من أجلها ، فقد ضعف المحدثون أحمد بن نصر الذارع لذلك قال الذهبي : « روى عن الحارث بن أبي أسامة وطبقته ، فأتى بمناكير تدل على أنه ليس بثقة . وذكر من ذلك حديث علي مرفوعًا : « يا علي إنما سمى نخل المدينة صوحانيًا لأنه صاح بفضلي وفضلك »[١] .

وروى الحارث بن عمير من حديث علي ﷺ مرفوعًا : « إن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران ... لما أراد أن ينزلهن تعلقن بالعرش فقلن : يا رب! تهبطنا إلى من يعصيك . . . » الحديث .

قال الذهبي : « تفرد به الحارث ، وبمثل هذا الحديث المنكر نالوا منه »[٢] .

---

(١) الذهبي ، الميزان (١/١٦١).

(٢) الذهبي ، العلو للعلي الغفار ص٧٣ .

ومن أسمج الكذب ما رواه عثمان بن أحمد بن السماك ، عن علي مرفوعًا : «من أدرك منكم زمانًا يطلب فيه الحاكة العلم فالهرب ، قيل : أليسوا من إخواننا؟ قال هم الذين بالوا في الكعبة ، وسرقوا غزل مريم ...».

قال الذهبي : «ينبغي أن يغمز ابن السماك لروايته هذه الفضائح»[١].

وروى سفيان بن بشر من حديث ابن عباس مرفوعًا : «هبط جبريل فأخبرني أن الله باهى بك يا علي وبك يا عباس ، وبي حملة العرش ، وباهى بالمهاجرين والأنصار أهل السماء العليا» . حكم الحافظ الذهبي بوضع ذلك المتن وجرح به راويه فقال : «وسفيان مشهور ما رأيت فيه جرحًا ، فليضعف برواية مثل هذا»[٢].

وروى يحيى بن سعيد السعيدي البصري من حديث أبي ذر مرفوعًا : «قلت يا رسول الله كم النبيون ؟ قال : مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي ...» الحديث .

قال البيهقي : «تفرد به يحيى» ، قال الذهبي : «أنا أتهمه به»[٣].

وكثر في روايات أبو بكر أحمد بن محمد السري الشيعي المثالب مما جعله رافضيًّا محترقًا ، فقد روى أن عمر رفس فاطمة حتى أسقط محسنًا ، وفي خبر آخر :«قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ ﴾ (الحاقة:٩) : عمر ، ﴿ وَمَن قَبْلَهُۥ ﴾ : أبو بكر ، و ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ ﴾ : عائشة وحفصة» فهذه المتون تنأى القلوب عن تصديقها ، وتحار العقول كيف استساغ روايتها ، فقال الذهبي : «شيخ ضال معثَّر»[٤] وحكم على حاله بالنظر إلى مروياته .

● المتون الصحيحة تحتاج إلى أسانيد :

إذا كانت المتون تدعم الباحث في الأسانيد ، وتقدم لعلماء الجرح والتعديل إضافات ولمحات تساعد في إصدار حكم منصف على هذا الراوي أو ذاك ؛ فإن الأسانيد بدورها تقدم لنقاد المتون دعمًا لتوثيق ذلك المتن أو إهداره ولا يقبل

---

(١) الذهبي ، الميزان (٣/٣١).
(٢) الذهبي ، العلو ص١١٣ .
(٣) الذهبي ، مهذب السنن [٥/ق١٩-ب] .
(٤) الذهبي ، السير (١٥/٥٧٨).

المحدثون متنًا عارٍ عن إسناد ، فإن جاء المتن مسندًا بدأت عملية البحث والنقد ، وإلا فلا يعبأ المحدثون به .

فقد روى مرفوعًا : « مُلعون من جمع ماءه في رحم أختين » .

فانتقده الحافظ الذهبي بالنكارة ثم قال : « فأين إسناده؟ »[١] .

وقد ادعى مصعب بن عبد الله أن عكرمة مولى ابن عباس يرى رأي الخوارج ، فرد الذهبي ذلك بأن « هذه حكاية بلا إسناد »[٢] .

ونُسب كتاب نهج البلاغة بألفاظه إلى الإمام علي بن أبي طالب ﷺ ، قال الذهبي : « ولا أسانيد لذلك ، وبعضها باطل ، وفيه حق ، ولكن فيه موضوعات ، حاشا الإمام من النطق بها ، ولكن أين المنصف »[٣] .

هكذا فلا يقبل متن بلا إسناد ، كما لا تضفي الأسانيد الصحيحة صفة اليقين على ما ترويها من متون .

وكما يقول دكتور همام سعيد أن منهج المحدثين « لا يسلم بالنص دون محاكمة ونقد ، ولا يكفي أن يصدر النص عن عالم أو شخص له احترامه حتى يقبل ؛ بل لا بد أن تثبت نسبة النص إلى قائله »[٤] .

● **بين ضعف السند وضعف المتن :**

الوهم في الرواية يظل وهمًا سواء كان ذلك في المتن أو الإسناد ، غير أن الوهم في الإسناد أقل شأنًا ، وأقرب إلى عدم الإتقان أو الخلط ؛ لذا يفرق النقاد بين الأوهام التي في السند ، والأخرى التي في المتن .

فيدافع النقاد عمن جاءت متون مروياته على الجادة ، وإن أخذوا عليه تهاونه في ضبط الأسانيد ؛ فإن حدة الانتقاد تضعف ، وقوة التجريح بذلك تخمد .

أما المتون فلا يتسامح فيها ؛ إذ ليست بذلك التشابك والتعقيد الذي يحتف بالأسانيد . ولذلك دافع الذهبي عن الحافظ ابن عقدة بأنه لم يتهم بوضع المتون ، ولم يذكر الذهبي موقفه من وضع الأسانيد[٥] .

---

(١) الذهبي ، تنقيح التحقيق (٩/٤١).
(٢) الذهبي ، السير (٥/٢٢).
(٣) الممصدر السابق (١٧/٥٨٩).
(٤) همام سعيد ، الفكر المنهجي عند المحدثين ص٢٤ .
(٥) الذهبي ، تذكرة الحفاظ (٣/٨٤١).

وبينما ضعف حجاجَ بن نصير الفساطيطي البخاريُّ وابنُ المديني وغير واحد ؛ فالحافظ يراه صدوقًا كما قال ابن معين وابن حبان مستدلاً بأنه «لم يأت بمتن منكر»[١].

ويرى الحافظ الذهبي التجريح ببعض أخطاء في الإسناد نوع تعنت خاصة إن لم يبدُ في ذلك أمارات التعمد ، فقال في ترجمة ابن جوصا : « إمام حافظ له غلط كغيره في الإسناد ، لا في المتن ، وما يضعفه بمثل ذلك إلا متعنت»[٢].

وقد ضعف الدارقطني أبا حذافة السهمي راوي الموطأ عن مالك ، وذكر ابن عدي أنه يحدث عن الثقات بالبواطيل ، ولكن الحافظ الذهبي يخفف من حدة ذلك الانتقاد ، ويرتفع بأبي حذافة من مصاف الهلكى إلى درجة الضعفاء فقال : « ولم ينقم على أبي حذافة متن ، بل إسناد ، ولم يكن ممن يتعمد» .

وفرق الحافظ الذهبي بين من يضع المتون ومن يسرق الأسانيد ويدعي اللقاء ، فدون هذين الفعلين مفاوز تنقطع دونها أعناق المطي .

فهذا يحيى الحماني ، قال الذهبي عنه : « لم يقل أحد قط : إنه وضع حديثًا ؛ بل ربما كان يتلقط أحاديث ويدعي روايتها على وجه التدليس ويوهم أنه سمعها . . . وهو أخف من افتراء المتون»[٣].

وكذلك اتُّهم محمد بن حميد بتركيب الأسانيد على المتون ، فقال الذهبي : « آفته هذا الفعل ، وإلا فما أعتقد فيه أنه يضع متنًا»[٤].

وقد كذب الخطيب البغدادي أبا علي الأهوازي ، قال الذهبي : « يريد تركيب الإسناد ، وادعاء اللقاء ، أما وضع حروف أو متون فحاشا وكلا ، ما أجوز ذلك عليه»[٥].

فالأسانيد مظنة الخطأ وعدم الإتقان ، أما المتون فمظنة الوضع والتعمد .

---

(١) الذهبي ، الميزان (١/٤٦٥).
(٢) الذهبي ، السير (١٥/١٨).
(٣) المصدر السابق (١٠/٥٣٦ ، ٥٣٧).
(٤) المصدر السابق (١١/٥٠٤).
(٥) المصدر السابق (١٨/١٧ ، ١٨).

● **ضعف المتن وظلمة الإسناد :**

لا يأتيك الحديث الشاذ إلا من الرجل الشاذ ، وأصل مادة الوضع ، هم الوضاعون وتلك هي جادة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، يتداولها قوم ليسوا ثقات ولا مرضيين ويتناقلها أهل الأهواء والأغراض الخبيثة ؛ لذا كثر اقتران ضعف المتن بحال إسناده .

وقد روي النبي ﷺ أنه قال : « **من ربى شجرة حتى تنبت كان له كأجر قائم الليل صائم النهار ، وكأجر غازٍ في سبيل الله دهره** » .

وقد اجتمع في هذا الحديث نكارة المتن وإظلام السند ، قال الذهبي : « هذا باطل متنًا ، ومعروف واه ، وإسناد ظلمات »[(١)].

وكذا روي عن النبي ﷺ أنه قال : « **لا يقبل الله قولاً إلا بعمل ، ولا يقبل قولاً وعملاً إلا بنية ، ولا يقبل قولاً وعملاً ونية إلا بإصابة السنة** » .

وذلك قول يشبه كلام الوعاظ ، وقد جمع الخبر أوجه النقد المختلفة ؛ لذا قال الذهبي : « هذا خبر منكر وسنده مظلم »[(٢)].

ومع خلاف الفقهاء في الجهر بالبسملة والإسرار بها ، رويت في ذلك الأحاديث ، قال الذهبي : « وقد روي الجهر بأسانيد منكرة عن النعمان بن بشير وبريدة وسمرة بن جندب وغيرهم ، ذكرها الخطيب ، لا تسمن ولا تغني من جوع ، لا يثبت بتلك الطرق عن النبي ﷺ شيء »[(٣)].

ورد الحافظ الذهبي حديث ابن عباس مرفوعًا : « رأيت كأني دخلت الجنة فرأيت لجعفر درجة فوق درجة زيد ، فقلت : ما كنت أظن أن زيدًا يدون أحدًا ، فقيل لي : يا محمد ، تدري بما رفعت درجة جعفر؟ قال : قلت : لا ، قيل : لقرابة ما بينك وبينه » ، فقال : « منكر وإسناد مظلم »[(٤)]. وإذا كان التعصب للجنس واللون واللغة قائمًا ، فإن الحديث الشريف لم يسلم من ذلك ، فقد روي عن

---

(١) الذهبي ، تذكرة الحفاظ (١٠٦٤/٣). (٢) الذهبي ، التنقيح (١٣٦/١).
(٣) الذهبي ، مختصر الجهر بالبسملة ص١٧٨. (٤) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٢٣٢/٣).

النبي ﷺ أنه قال : « **من تكلم بالفارسية زادت في خبثه ، ونقصت من مروءته** ».
قال الذهبي : « ليس بصحيح ، وإسناده واهٍ بمرة »[١].

ومع المغالاة يروي غلاة الشيعة عن علي رضي الله عنه أنه قال : « والله لأُقتلن ثم لأبعثن ، ثم لأقتلن ، وهي القتلة التي أموت فيها ، يضربني يهودي بأريحا بصخرة يفدع بها هامتي » .

وقد نسب ذلك المتن بعثًا بعد الموت وحياة بعد الحياة .
قال الذهبي : « هذا كذب ، وإسناده ظلمات »[٢].

وهكذا يظل المتن الموضوع أو المكذوب قرين الإسناد المظلم والرواة المجروحين .

● **ضعف المتن لضعف أحد الرواة :**

قد يسلم المتن من ظلمة السند ، ويتعاقب عليه الرواة المرضيون الأثبات ، والعدول الثقات ، ولكن أحد الرواة يشذ عن هذه الطريقة وتلك المنزلة ، فوضاع بين جهابذة ، وكذاب في سند مشرق بالأبرار ، مع نكارة المتن يلقي بأصابع الاتهام إليه وبظلال الريبة عليه .

فقد روى محمد بن معاوية من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « **إن لكل شيء شرفًا ، وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة ، وإنكم تجالسون بينكم بالأمانة ، واقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في صلاتكم ... ألا أخبركم بشراركم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : الذي ينزل وحده ، ويمنع رفده ، ويجلد عبده** » .

قال الذهبي : « محمد بن معاوية كذبه الدارقطني ، فبطل الحديث »[٣].

وروى العباس بن بكار الضبي من حديث جابر أن النبي ﷺ قال : « **من غرس غرسًا يوم الأربعاء ، فقال : سبحان الباعث الوارث أتته بأكلته** » ، ورد الحافظ الذهبي ذلك المتن لكون العباس بن بكار كذابًا[٤].

---

(١) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٤/٩٨).
(٢) الذهبي ، الميزان (٤/٢٠٨).
(٣) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٤/٣٠٠ ، ٣٠١).
(٤) الذهبي ، التاريخ (١٦/٢١٤ ، ٢١٥).

وروى سعيد بن محمد الوراق من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : « **يا عائشة ، إن أردت اللحوق بي ، فليكفك من الدنيا كزاد الراكب ، لا تستخرجي ثوبًا حتى ترقعيه ، وإياك ومجالسة الأغنياء** » .

والمتن قد انتقده الحافظ الذهبي لمكان سعيد الوراق الذي وصفه بأنه عدم[١] .

● **ضعف المتن مع نظافة السند :**

إذا كانت الأسانيد المنقطعة والرواة الهلكى يشيرون إلى ضعف ما تحملوا ؛ فإن نظافة الإسناد وحدها لا تضفي صفة اليقين على صحة المتن ، فكم من أحاديث أسانيدها كالشمس ، غير أنها لم تستطع أن تدفع ظلمة تلك المتون ، والحافظ الذهبي لا تأسره جودة الأسانيد ، ولا يغتر بحسنها قبل أن يحاكم تلك المتون لدلالات التشريع الخالد والحكمة النبوية ، ولذلك فكثيرًا ما ينتقد المتن مع صحة الإسناد .

فقد روي عن علي ﷺ قال : يا رسول الله ، تفلت القرآن من صدري ، قال : **أفلا أعلمك كلمات تثبت ما تعلمت في صدرك!** فقال : أجل ، **قال : إذا كانت ليلة الجمعة ، فقم بأربع ركعات تقرأ فيهن : يس ، والدخان ، وتنزيل ، وتبارك ، ثم تدعو . . .** » الحديث .

قال الذهبي : « مع نظافة سنده حديث منكر جدًّا ، في نفسي منه شيء »[٢] .

وقال في موضع آخر : « حيرني والله جودة سنده »[٣] .

وروي من حديث عمران بن حصين : « بعث رسول الله ﷺ سرية ، واستعمل عليهم عليًّا » وذكر إنكار الصحابة على علي ﷺ ، وفيه : « إن عليًّا مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي » . ومع كون ذلك المتن قد جاء بإسناد على شرط مسلم ؛ إلا أنه لم يخرجه في صحيحه .

قال الذهبي : « إسناده على شرط مسلم ، وإنما لم يخرجه في صحيحه لنكارته »[٤] .

---

(١) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٤/٢٣٧).
(٢) الذهبي ، الميزان (٢/٢١٣).
(٣) الذهبي ، تلخيص المستدرك (١/٤٦١).
(٤) الذهبي ، التاريخ (١١/٧١).

وجاء من حديث ابن عباس مرفوعًا : «أوحى الله إلى محمد ﷺ : إني قد قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفًا ، وإني قاتل بابن ابنتك سبعين ألفًا ، وسبعين ألفًا» ، وضعف الذهبي ذلك المتن قائلاً : «هذا حديث نظيف الإسناد ، منكر اللفظ»[١].

وجاءت الروايات للتنقص من شأن أهل البداوة والارتفاع بأهل الحضر ، ومن ذلك ما جاء بسند نظيف من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : «لا تجوز شهادة بدوي على صاحب قرية» .

قال الذهبي : «حديث منكر مع نظافة سنده»[٢].

وكذلك استغرب الذهبي حديث ابن عمر مرفوعًا : «اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا ، قالوا : وفي نجدنا؟ ، قال : هناك الزلازل والفتن ، أو قال : منها يطلع قرن الشيطان» . فقال : «هذا حديث صحيح الإسناد غريب»[٣].

وجاءت الرواية المنكرة من حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس رفعه : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ ﴾ (الأعراف:١٤٣) ، قال : أخرج خنصره» ، قال ابن الجوزي : لا يثبت .

وقال الذهبي : «سنده قوي مع نكارته»[٤].

وروي من حديث أنس : «كان رسول الله ﷺ إذا كان في سفر فزالت الشمس صلى الظهر والعصر ، ثم ارتحل». قال الذهبي : «فهذا على نبل رواته منكر»[٥].

وجاء من حديث عائشة رضي الله عنها : «أن رسول الله ﷺ جعل سبع حيطان له بالمدينة صدقة على بني هاشم وبني المطلب» . قال الذهبي : «هذا غريب بمرة ، وأخاف من نظافة سنده»[٦]، وقد يصح الإسناد ، ويكون المتن محفوظًا ، لكنه شاذ غير مقبول ، ومن ذلك ما روى ابن جريج في موت النبي ﷺ : «مات في الضحى يوم الاثنين ، ودفن من الغد في الضحى».

---

(١) الذهبي ، السير (٣٤٢/٤ ، ٣٤٣).
(٢) الذهبي ، تلخيص المستدرك (١١١/٤).
(٣) الذهبي ، السير (٣٥٦/١٥).
(٤) الذهبي ، ترتيب الموضوعات ص٢١ .
(٥) الذهبي ، الميزان (١٨٣/١).
(٦) الذهبي ، مهذب السنن [٣/ق١٩٤-ب].

قال الذهبي : «هذا قول شاذٌ ، وإسناد صحيح»[١].

● **ضعف المتن مع ثقة الراوي أو صدقه :**

إذا كان الصدوق تقبل روايته إما على وجه الاعتبار ، أو قبول الرواية في الفضائل والمغازي ، والملاحم والتفسير ، وتكون العدالة في حقه متيقنة ، ولكنَّ ما يفصل بينه وبين الثقة ذلك القدر من الضبط الذي تمتع به الثقة ، وقصر عنه الصدوق ، ومع ذلك فإن الصدوق لا تسلم مروياته لانتقاد المتون ، فإن ضعف الضبط لا يخص الإسناد فحسب ، بل يشمل ذلك المتن والإسناد كليهما .

وقد حدث عبد الجبار بن الورد بسنده عن ابن عباس مرفوعًا : «ليس ليوم فضل على يوم في الصيام إلا شهر رمضان ويوم عاشوراء» .

فاستنكر ذلك الذهبي رحمه الله مع صدق عبد الجبار ، وذلك لدلائل غرابة ذلك المتن ، فأين يوم عرفة؟ وأين العشر الأوائل من ذي الحجة؟ وغير ذلك ، فقال الذهبي : «هذا حديث غريب فيه نكارة ، وابن الورد صدوق»[٢].

وقد يحدث الصدوق بالباطل ويروي الموضوع وهو لا يدري ، وهذه آفة العباد والزهاد ممن كملت عدالتهم وأبطأ بهم ضبطهم ، وقد روى الحسن ابن موسى الرسعني من حديث ابن عمر مرفوعًا ، «نادِ في الناس أن الخليفة أبو بكر وأن الخليفة بعده عمر ، ثم عثمان ، أبى الله إلا ذاك» . قال الذهبي : «فهذا موضوع ، والرسعني محله إن شاء الله الصدق»[٣].

وإن كان ذلك القول في حق الصدوق ، فإن الثقة الذي جمع الضبط والإتقان ، مع العدالة والبراءة من الهوى : لا بد أن تخضع مروياته لاختبارات المحدثين ومعايير النقاد ، وذلك ما جعل الحاكم رحمه الله يصحح الكثير من الأحاديث الضعيفة والباطلة بدعوى ثقة الرواة ؛ غير أن ذلك ليس على الإطلاق .

فقد روى الحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ قال : «**يا علي أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة ، حبيبك حبيبي ، وحبيبي حبيب الله ، وعدوك عدوي ، وعدوي عدو الله ، والويل لمن أبغضك بعدي**».

---

(١) الذهبي ، التاريخ (٥٨٢/١).
(٢) الذهبي ، السير (٥٢/١٧).
(٣) الذهبي ، الميزان (١٥٠/٢).

وجاء أن عبد الرزاق حدث به أبا الأزهر سرًّا ، وقد استنكره عليه ابن معين[١].

قال الذهبي : « هذا وإن كان رواته ثقات ، فهو منكر ليس ببعيد من الوضع وإلا لأي شيء حدث به عبد الرزاق سرًّا ، ولم يجسر أن يتفوه به لأحمد وابن معين والخلق الذين رحلوا إليه »[٢].

وروي « أن النبي ﷺ دخل على عائشة رضي الله عنها وعندها حميم يخنقه الموت ، فلما رأى النبي ﷺ ما بها قال : **لا تبتئسي على حميمك ، فإن ذلك من حسناتك** » .

قال الذهبي : « رواته ثقات ، لكنه منكر »[٣].

ولم يقع الحافظ الذهبي أسيرًا لما عرف عن الرواة من الإتقان والتثبت ، لعلمه أن الثقة بشر ، وكلٌّ عرضة للسهو أو الخطأ أو النسيان ، ولكن ذلك في حق الثقة يحدث على الندرة ، فليس هناك ما يجعل العصمة للثقات .

وقد روى عبد الوارث بن سعيد : حدثنا عوف ، عن الحسن ، عن أنس قال : « صليت مع رسول الله ﷺ ، فلم يزل يقنت في صلاة الغداة حتى فارقته ، وخلف عمر ، فلم يزل يقنت في صلاة الغداة حتى فارقته » .

وذلك الإسناد في غاية النصاعة والصفاء ، ولكن جهابذة المحدثين وأطباء العلل لا يكتفون بظواهر الأسانيد ، وقد أعلوا تلك الرواية بما رواه الثقات أيضًا ، عن عبد الوارث بن سعيد عن عمرو بن عبيد ـ رأس المعتزلة ـ وليس عن عوف .

قال الذهبي : « فهذا هو المحفوظ عن عبد الوارث . . . وإسناده ثقة ، ولكن الثقة يغلط »[٤].

وروى عبد المؤمن بن خالد الحنفي ، عن عبد الله بن بريدة ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال : أرسلني أبي إلى رسول الله ﷺ أطلب الأدام ، وعنده جبريل ، فقال : هو ابن عباس؟ قال : بلى ، قال : فاستوص به خيرًا ، فإنه حبر أمتك».

---

(١) الحاكم ، تلخيص المستدرك (٣/١٣٨ ، ١٣٩).

(٢) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٣/١٣٨) (٣) الذهبي ، تذكرة الحفاظ (٢/٦٨٨).

(٤) الذهبي ، تنقيح التحقيق (٣/٢٢٣ ، ٢٢٤).

قال الذهبي : «هذا حديث منكر ، وعبد المؤمن ثقة»[١].

وإذا كان الصحيحان أجل كتب السنة ، وأعلاها قدرًا ، وأصحها رواية ؛ فإن لرواة الصحيحين منزلة أكبر ، حتى عبر الحافظ الذهبي عمن روى له البخاري ومسلم بأنه قد قفز القنطرة .

ولا شك أن البخاري ومسلم اجتهدا أيما اجتهاد في اختيار مرويات صحيحيهما واعتمادهما على رواة على قدر كبير من العدالة والتيقظ ، والتثبت والإتقان ، ومع ذلك ، فالحافظ المتيقظ يعلم أن تصحيح البخاري ومسلم لراوٍ إنما هو تصحيح لروايته هذه ، لا لمطلق مروياته ، فللثقات أوهام ، وكذا فقد خرج البخاري ومسلم لبعض من لم تبلغ رتبته درجة الصحيح إذا ثبت إتقانه لذلك الحديث الذي اعتمداه .

ولهذا لم يكن تخريج الشيخين حجر عثرة أمام نقد المتون لهؤلاء الرواة فيما عدا أحاديث الصحيحين ، فقد روى الحسن بن بشر ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : «**من أهدى بدنة تطوعًا فعطبت ، فليس عليه بدل ، وإن كانت نذرًا فعليه البدل**» .

قال الحافظ الذهبي : «الحسن من مشيخة البخاري ، ولكن ليس هذا بمحفوظ»[٢].

وروى عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت من حديث ابن عباس قال : «أوحى الله إلى محمد ﷺ : إني قتلت بحيى سبعين ألفًا ، وإني قاتل بابن ابنتك سبعين ألفًا وسبعين ألفًا» .

قال الذهبي : «غريب ، وعبد الله خرج له مسلم»[٣].

وهكذا لم يكن نقد المتن عند الحافظ الذهبي يتوقف أمام ظواهر الأسانيد ، كما أنه ـ رحمه الله ـ لم يكن خاضعًا لأحكام مسبقة ، أو أسيرًا لمنزلة الرواة .

● **ضعف المتن مع جهالة الراوي :**

جهالة الراوي قادحة في الحديث من حيث الإسناد ؛ وذلك على سبيل الاحتراز لا على وجه اليقين ، فربما صدق ذلك المجهول ، وربما كان في غاية التثبت

---

(١) الذهبي ، التاريخ (١٥٣/٥).
(٢) الذهبي ، مهذب السنن [٣/ق٨٨-أ] .
(٣) الذهبي ، تذكرة الحفاظ (٧٧/١).

والإتقان ، فكم من عبد لله تقي خفي ، غير معلوم لأهل الأرض ، ولكنه معروف لأهل السماء ، ولكن الحزم والاحتياط لسنة النبي ﷺ تدفع المحدثين إلى عدم قبول روايات ذلك الضرب من الرواة .

والحافظ الذهبي رحمه الله يؤيد ذلك حرصًا على السنة ، وذودًا عن حياضها ، غير أنه ـ يرحمه الله ـ لم يكتف في رده لروايات أولئك المجهولين بالاعتماد على ذلك المعيار من علوم الإسناد حتى ضم إليه معايير النظر إلى نفس الرواية ، وعرض متنها على قواعد علم نقد المتن وأطره .

وقد روى عمران بن أبان قال : أراني أنس بن مالك الوضوء ، فمسح صماخيه ، وقال : يا غلام ، إنهن من الرأس ، هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ .

قال الذهبي : « وعمران بن أبان لا يُدرى من هو ، والحديث إنما دلنا على ضعفه »[1] ، فقد جعل الذهبي المعرفة بحال المتن قرينة للحكم على ذلك الراوي المجهول .

وكذلك لم يقبل الذهبي من راوٍ مجهول ما يتفرد به ، بل إن المتن الذي يعرف منه المجازفات ، ومخالفة منطوق الشريعة ومفهومها لا يقبل من الثقات ، فكيف بالمجهولين؟!

وقد روى جابر بن مرزوق المكي من حيث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أذنب ذنبًا فعلم أن له ربًّا إن شاء أن يغفره له غفره له ، وإن شاء عذبه : كان حقًّا على الله أن يغفر له** » . قال الذهبي : « ومن جابر حتى يكون حجة ، بل هو نكرة ، وحديثه منكر »[2].

وقد قدم لنا الحافظ الذهبي رحمه الله نماذج من نقد المتون لروايات المجاهيل ، وشرع يبين درجة ضعف كل متن من هذه المتون المنتقدة .

فمن هذه المتون ما اكتفى الحافظ الذهبي بأن فيه نظر ، ومن ذلك رواية محمد ابن سليمان العابد : « قال علي للزبير : أما تذكر يوم كنت أنا وأنت في سقيفة قوم من الأنصار ، فقال لك رسول الله ﷺ : **أتحبه؟** فقلت : وما يمنعني؟ قال : أما

---

(١) الذهبي ، الميزان (١/٤٠٥).

(٢) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٤/٢٧٠)

إنك ستخرج عليه وتقاتله وأنت ظالم، قال: فرجع الزبير». قال الذهبي: «العابد لا يعرف، والحديث فيه نظر»[١].

ومن ذلك ما وصفه الحافظ الذهبي بالغرابة، ومنه رواية محمد بن أبي مسلم، من حديث أبي هريرة، وفيه طلب رسول الله من فتًى أن يستغفر له، فقال الفتى: «اللهم إني أستغفرك لرسولك، اللهم إني أستغفرك لرسولك ونبيك كما غفرت لي، إنك واسع المغفرة، وأنت أرحم الراحمين». قال الذهبي: «غريب، ومحمد بن أبي مسلم مجهول»[٢].

ومنه ما وصفه الذهبي بالنكارة، ومن ذلك ما روت بانة بنت بهز بن حكيم عن أبيها عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «من سبح عند غروب الشمس سبعين تسبيحة غفر الله له سائر عمله». قال الذهبي: «حديث منكر، وبانة مجهولة»[٣].

وكذلك حديث جبلة بن عطية، من حديث مسلمة بن مخلد أن النبي ﷺ قال: «اللهم علم معاوية الكتاب، ومكن له في البلاد». قال الذهبي: «لا يعرف، والخبر منكر»[٤].

ومن الروايات ما نعته الذهبي بالبطلان، ومنه حديث جهم بن عثمان: «النظر إلى الحسناء يزيد في قوة البصر». قال الذهبي: «لا يعرف، وحديثه باطل»[٥].

كما وصم متونًا أخرى بالكذب، ومن ذلك رواية أحمد السمرقندي من حديث ابن عباس «أن النبي ﷺ سئل عن المرجئة، فقال: **لعن الله المرجئة: قوم يقولون: الصلاة والصوم والحج ليست بفريضة؛ فإن عملت فحسن، وإن لم تعمل فلا حرج**».

قال الذهبي: «نكرة لا يعرف وخبره كذب»[٦].

---

(١) الذهبي، تلخيص المستدرك (٤٦٢/٣). (٢) المصدر السابق، (٢٨٤/٤، ٢٨٥).
(٣) الذهبي، السير (٤٦٤/١٤)، تذكرة الحفاظ (٧٤٩/٢).
(٤) الذهبي، الميزان (٣٨٨/١). (٥) الذهبي، المغني (٢٠٩/١).
(٦) الذهبي، الميزان (١٦٦/١).

obeikan.com

وكذلك حكم الحافظ الذهبي على روايات أُخر بالوضع ، ومن ذلك رواية محمد بن الحسن الكوفي ، من حديث أنس : « تلا رسول الله ﷺ : ﴿ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ (التحريم:٦) ، وبين يديه رجل أسود ، فهتف بالبكاء . . . » الحديث ، وفيه : « وعزتي وجلالي وارتفاعي » .

قال الذهبي : « هذا الحديث في نقدي موضوع . . . والكوفي لا أعرفه فلعله آفته »[(١)].

● **صحة المتن مع ضعف السند :**

المرونة مما تميز به منهج المحدثين في نقدهم للحديث الشريف ؛ ولم يكن نقاد الحديث يصبون أعمالهم في قوالب ثابتة أو طرائق جامدة ، ولذا كثر القول بأن كل حديث له ظروفه الخاصة وقرائنه المحيطة به ، التي لا تجعل صيغ الحكم على الآثار على وتيرة واحدة .

وإذا كان الحافظ الذهبي قد ضعف بعض المتون من رواية الثقات ، فإنه رحمه الله قد صحح البعض الآخر من رواية الضعفاء ، فالضعيف قد وصف بالضعف لغالب الروايات لا كلها ، وهو يصيب ويخطئ ، وليس معنى الحكم عليه بالضعف مبررًا لطرح مروياته على الإطلاق ، وقد روى مسلم في صحيحه عن بعض الضعفاء في المتابعات ما انقدح في ذهنه أن ذلك الراوي قد أصاب في ذلك الموطن ، وذلك لمشاركة الثقات له في رواية أصل ذلك المتن .

فالحديث لا يحكم بضعفه لكون الإسناد ضعيفًا فحسب ، وإنما يحكم بالضعف على السند الضعيف لا مطلق الرواية ، وقد يكون الحديث صحيحًا أو حسنًا ، وربما كان ضعيفًا ضعفًا هينًا ، ربما انجبر بشاهد أو متابعة ، ولكنه جاء بإسناد ضعيف فالأولى عندئذٍ الحكم بالضعف باعتبار هذه الرواية فحسب .

ومن ذلك ما رواه محمد بن عيسى الطرسوسي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، « أن النبي ﷺ نهى عن بيع الغرر » ، وقد اتهمه ابن عدي بسرقة الحديث ، وأن عامة ما يرويه لا يتابع عليه . قال الذهبي : « هذا بهذا الإسناد باطل »[(٢)] ، وقد عنى بالبطلان تلك الرواية لا أصل الحديث .

---

(١) الذهبي ، العلو ص٩٧ .

(٢) الذهبي ، ميزان الاعتدال (٦٧٩/٣).

وروى جبارة بن المغلس من حديث ابن عباس ، مرفوعًا : «من نسى الصلاة علي أخطأ طريق الجنة» . قال الذهبي : «وهذا بهذا الإسناد باطل»[١].

فبطل الحديث من تلك الجهة فحسب .

وقد يكون السند مكتظًا بالضعفاء ممن لم يحققوا شرائط الضبط ، ومع ذلك يكون المتن صحيحًا ، ومن ذلك حديث علي ﷺ ، سمعت النبي ﷺ يقول : **«لا تكذبوا علي ، فمن كذب علي متعمدًا فليلج النار»**.

قال الذهبي : «وفي رجاله مع صدقهم خمسة رجال فيهم مقال ، ومتنه مقطوع به»[٢].

وربما ضعف الإسناد لاتفاق المحدثين والحفاظ على ضعف أحد رواته ، بما لا يجعل له معدلاً ، ولكن المتن ينأى عن ذلك الضعف .

فقد روى أبو المهزم يزيد بن سفيان عن أبي هريرة قال : «أوصاني خليلي أبو القاسم ﷺ بثلاث : الغسل في كل يوم جمعة ، والوتر قبل النوم ، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر» .

قال الذهبي : «متنه محفوظ ، وأبو المهزم يزيد بن سفيان متفق على ضعفه»[٣].

إن المعرفة بالمتون الصحيحة التي أخرجها البخاري ومسلم تعصم الناقد من الخطأ فربما انتقد أحدهم حديثًا متنه في الصحيحين اغترارًا بضعف السند الظاهر ، فقد روى يحيى السمسار من حديث عائشة قالت : «كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل».

قال الذهبي : «يحيى السمسار ليس بثقة ، وأما المتن ففي الصحاح»[٤].

وروى إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، عن سعيد ابن المسيب ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«بينا أنا نائم رأيتني على قليب ، فنزعت منها ما شاء الله ، ثم نزع ابن أبي قحافة ذنوبًا أو ذنوبين ، وفي نزعه ضعف . . .** » الحديث .

---

(١) الذهبي ، ميزان الاعتدال (٣٨٧/١).
(٢) الذهبي ، السير (٤١٠/٥).
(٣) المصدر السابق (١٧٢/١٤ ، ١٧٣).
(٤) المصدر السابق (٤٦/٦).

قال الذهبي : «هذا حديث محفوظ المتن ، اتفق عليه البخاري ومسلم ، من طريق يونس وعقيل عن ابن شهاب ، وروايتنا هذه غريبة معللة»[١].

وروى الجارود بن يزيد من حديث أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «**مجالس الذكر تنزل عليهم السكينة ، وتحفهم الملائكة ، وتغشاهم الرحمة ، ويذكرهم الله على عرشه**».

قال الذهبي : «الجارود واهٍ ، والحديث له أصل ، لكن لفظ الصحيحين ، عن أبي هريرة مرفوعًا : وذكرهم الله فيمن عنده»[٢].

ويروى الحديث بإسنادٍ فيه مقال لحال راوٍ مغموز ، فيحكم الحافظ الذهبي بحال الإسناد ثم يبين حال المتن بالنظر إلى مجموع أسانيده .

فقد روى عبيد الله بن إسحاق عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا : «أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ، وما فسد عليكم فبيعوه ، ولا تعذبوا خلق الله ـ يعني المملوكين» .

قال الذهبي : «هذا حديث غريب فرد . . . والمتن محفوظ بإسناد آخر»[٣].

وروى عمرو بن مجمع عن يونس بن خباب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ :«ثلاث أقسم عليهن : ما نقص مالاً قط صدقة ، ولا عفا رجل عن مظلمة ظُلمها إلا زاده الله بها عزًّا ...» الحديث .

قال الذهبي : «هذا الحديث حسن المتن ، واهي الإسناد من جهة عمرو ويونس»[٤].

● **نسبة المتون الضعيفة لأصحابها :**

تأتي المتون الباطلة عن النبي ﷺ ، وأمارات الضعف تنادي بضعف ذلك المتن أو تلوح بوضعه ، وقد يجتمع في إسناد ذلك المتن عددًا من الضعفاء ، فيظل ذلك المتن حائرًا بين أولئك الضعفاء حتى يتيقن ناقد من نسبة ذلك المتن إلى صاحبه ، في عملية شاقة من البحث والاعتبار والمقارنة لطبقات ذلك الإسناد .

وقد اهتم الحافظ الذهبي بذلك أيما اهتمام ، وسجل لنا في مصنفاته على تعددها آثار ذلك الاهتمام ، فقد أخرج الحاكم في مستدركه من حديث حرام

---

(١) الذهبي ، السير (٣٠٨/٨).
(٢) الذهبي ، العلو ص٧١ .
(٣) الذهبي ، السير (٤٧١/٩).
(٤) الذهبي ، معجم الشيوخ (١٥٩/١).

ابن عثمان ، عن عبد الرحمن الأغر ، عن أبي سلمة ، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : « خرج رسول الله ﷺ يريد بنت حمزة قبيصة » ، وفيه : « أخبرني أبو عمارة أنك أُعطيت نهرًا في الجنة يدعى الكوثر ، فقال رسول الله ﷺ : **وآنيته أكثر من عدد نجوم السماء ، وأحب وارده علي قومك** » وصححه الحاكم .

قال الذهبي : « أين الصحة وحرام فيه؟! »[١] .

وكذا أخرج الحاكم رواية الواقدي من حديث خوات بن جبير ﷺ ، في شأن الذبيح إسماعيل أم إسحاق فقال : « إسماعيل ، لما بلغ إسماعيل سبع سنين رأى إبراهيم في النوم . . . » الحديث . قال الذهبي : « ما للواقدي والصحاح »[٢] .

ولم تمنع هيبة الصحيحين وجلال رواتهما الحافظ الذهبي من بيان ما وهم فيه أولئك الرواة في غير الصحاح ، فقد روى يحيى بن أيوب من حديث عمرو ابن أمية الضمري : « أن الصعب بن جثامة أهدى للنبي ﷺ عجز حمار وحشٍ ، وهو بالجحفة فأكل منه ، وأكل منه القوم » صحح البيهقي إسناده .

قال الذهبي : « بل هذا خبر منكر شاذ ، ويحيى بن أيوب قد ضعف ، وله أحاديث منكرة ، ولكنه من رجال الصحيحين! »[٣] .

وكذا روى نعيم بن حماد من حديث أنس ﷺ قال : « دخلت على عائشة رضي الله عنها ورجل معها ، فقال الرجل : يا أم المؤمنين ، حدثينا حديثًا عن الزلزلة ... » وفيه : « يا أنس إن حدثتك عنها عشت حزينًا ، وبعثت حين تبعث ، ذلك الحزن في قلبك! »، والحديث صححه الحاكم وقال : على شرط مسلم .

قال الذهبي : « بل أحسبه موضوعًا على أنس ، ونعيم منكر الحديث إلى الغاية مع أن البخاري روى عنه »[٤] .

وإن كان الحافظ الذهبي رحمه الله قد نسب الوهم في الرواية لصاحبه ، فقد بين منزلة كل راوٍ ممن وهم في تلك المتون ، في عمل تكاملي بين نقد المتن

---

(١) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٣/٢١٦).
(٢) المصدر السابق (٢/٦٠٥).
(٣) الذهبي ، مهذب السنن [٣/ق٧٠-أ] .
(٤) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٤/٥٦١ ، ٥٦٢).

ومعرفة منازل الرواة ، وقد قدم لنا الحافظ الذهبي مع نقده للمتن درجات الجرح الناشئة عن الوهم ، ودرجات الجرح الأخرى الصادرة عن التعمد .

أ- متن ضعيف لوهم الراوي :

١- **ومن ذلك كون الراوي المتفرد بالمتن ممن لا يعتمد على تفرده** ، لكونه لا يرقى إلى مصاف من قبل تفردهم إذا انفردوا .

فقد روى الحارث بن أبي أسامة ، من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « إذا استجمر أحدكم فليوتر ، فإن الله وتر يحب الوتر ، أما ترى السموات سبعًا والأرض سبعًا والطواف . . . » صححه الحاكم ، وقال : على شرط الشيخين . قال الذهبي : « منكر ، والحارث ليس بعمدة »[١].

وروى أبو مسلم قائد الأعمش ، عن الأعمش ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « يا جبريل ، هل ترى ربك ؟ قال : إن بيني وبينه تسعين حجابًا من نار أو نور ، لو دنوت من أدناها لاحترقت» . قال الذهبي :« هذا حديث منكر ، وأبو مسلم ليس بمعتمد »[٢].

٢- **ومن ذلك ضعف الراوي** ، فلا يقبل منه في الأصول لعدم جمعه بين العدالة والضبط .

فقد روى محمد بن ثابت البناني من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « **للأنبياء منابر من ذهب يجلسون عليها ، ويبقى منبري لا أجلس عليه فيما بين يدي ربي عز وجل ...** » وفيه : « حتى إن خازن النار يقول : يا محمد ما تركت للنار ولغضب ربك في أمتك من نقمة » . قال الذهبي : « هذا حديث غريب منكر ، تفرد به محمد بن ثابت ، أحد الضعفاء »[٣].

وروى عيسى بن ميمون من حديث أبي هريرة مرفوعًا : « من حلف على يمين فهو كما حلف ، إن قال : يهودي فهو يهودي ، وإن قال : هو نصراني فهو نصراني ... ».

---

(١) الذهبي ، تلخيص المستدرك (١/٢٦١).
(٢) الذهبي ، السير (٦/٢٤١).
(٣) المصدر السابق (١٣/٨٢ ، ٨٣).

obeikan.com

قال الذهبي : « عيسى ضعفوه ، والخبر منكر »[١].

٣- **ومن ذلك كون الضعف شديدًا** ، فلا تقبل رواية الراوي في الأصول ، ولا في المتابعات لغلبة الضعف عليه وكونه للوهم أقرب وللخطأ أكثر .

ومن ذلك ما رواه ثابت بن محمد من حديث جابر مرفوعًا : « **لا يقطع الصلاة الكشر ، ولكن يقطعها القرقرة** » . قال الذهبي : « هذا حديث منكر ، وثابت واهٍ » .

وروى إبراهيم بن محمد بن ثابت من حديث أم هانئ رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ قال : « **فضَّل الله قريشًا بسبع خلال : أنى فيهم وأن النبوة فيهم والحجابة** ... » الحديث ، صححه الحاكم . وقال الذهبي : « إبراهيم صاحب مناكير ، هذا أنكرها »[٢].

وروى إسرائيل بن حاتم من حديث علي رضي الله عنه : « لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ (الكوثر: ١، ٢) ، قال النبي ﷺ : **يا جبريل ، ما هذه النحيرة** ... » الحديث . وفيه ذكر رفع الأيدي في الصلاة .

قال الذهبي : « إسرائيل صاحب عجائب ، لا يعتمد عليه »[٣].

٤- **ومن ذلك كون الراوي مجهولاً** ، فلا يعتمد على ما جاء به لتعذر إثبات العدالة والضبط له .

فقد روى زيد بن سعيد الواسطي ، من حديث ابن عباس مرفوعًا : « من أدخل على مؤمن سرورًا فقد سرني ، ومن سرني فقد اتخذ عندي عهدًا ، ومن اتخذ عندي عهدًا ، فلن تمسه النار » .

قال الذهبي : « هذا حديث منكر ، تفرد به زيد بن سعيد ـ هذا ـ وسائر رواته ثقات أعلام ، فالآفة زيدٌ هذا ، ولم أجد أحدًا ذكره بجرح أو تعديل »[٤].

---

(١) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٤/٣٣١).
(٢) المصدر السابق (٢/٥٨٤).
(٣) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٢/٥٨٦ ، ٥٨٧).
(٤) الذهبي ، معجم الشيوخ (٢/١٥٦).

ب ـ متن ضعيف لاتهام الراوي أو تركه :

وقد يقترن ضعف المتن بكون الراوي في أدنى درجات الضعف أو يكون متهمًا بالوضع أو قد جرب عليه الكذب .

١ - فمن ذلك كون الراوي لم يحقق أدنى درجات الرواية وغلب عليه التهاون واختلال الضبط .

فقد روى عبد المؤمن بن القاسم من حديث علي مرفوعًا : «أما ترضى يا علي ... أن أقوم عن يمين العرش وأنت عن يميني ، وتكسى ثوبين أبيضين ...».

قال الذهبي : «عبد المؤمن تالف ، والخبر منكر جدًّا»[(١)].

وروى عفير بن معدان من حديث أبي أمامة مرفوعًا : «الشام صفوة الله من بلاده ، يسوق إليها صفوة عباده ، من خرج من الشام إلى غيرها فبسخطه ، ومن دخلها من غيرها فبرحمته» صححه الحاكم . وقال الذهبي : «كلا ، عفير هالك»[(٢)].

وروى إسحاق بن بشر من حديث حذيفة ﷺ مرفوعًا : «من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء ، ومن لم يتق الله فليس من الله في شيء» .

قال الذهبي : «إسحاق عدم وأحسب الخبر موضوعًا»[(٣)].

٢- ومن ذلك كون الراوي متروكًا لا يعبأ بما رواه لإتيانه بالأباطيل .

روى أحمد بن عبد الله بن ميسرة من حديث ابن عمر ﷺ مرفوعًا : «الخيار ثلاثة أيام» .

قال الذهبي : «حديث منكر ، وابن ميسرة متروك»[(٤)].

وروى سلمة الأحمر من حديث ابن مسعود ﷺ : «بينا أنا عند رسول الله ﷺ أقرأ عليه حتى بلغت ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ (الإسراء:٧٩) قال : **يجلسني على العرش**» . قال الذهبي : «هذا حديث منكر لا يفرح به ، وسلمة هذا متروك الحديث»[(٥)].

---

(١) الذهبي ، الميزان (٢/١٦٤ ، ١٦٥).
(٢) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٤/٥٥٥).
(٣) المصدر السابق (٤/٣٥٢).
(٤) الذهبي ، مهذب السنن [٣/ق٩٩-أ] .
(٥) الذهبي ، العلو ص٩٣ .

٣- ومن ذلك كون الراوي متهمًا بالوضع ، وإن لم يصرح هو بذلك .

روى أبو الصلت الهروي ، من حديث ابن عباس مرفوعًا : «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها ، فمن أراد بابها فليأت عليًّا» . قال الذهبي : «هذا الحديث غير صحيح ، وأبو الصلت هو عبد السلام متهم»[(١)].

٤- ومن ذلك كون الراوي كذابًا ، يتعمد الكذب لهوًى في نفسه أو نصرة لمذهب أو فرقة أو غير ذلك .

روى عمر بن هارون من حديث أم سلمة «أن رسول الله ﷺ قرأ في الصلاة : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فعدها آية ، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ آيتين ، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ثلاث آيات ...» الحديث . قال الذهبي : «هذا خبر منكر شذ به عمر ، وقد قال ابن معين وغيره : كذاب . . . فإن كان عدها بلسانه في الصلاة فذلك منافٍ للصلاة ، وإن كان بأصابعه فلا يدل على أنها آية»[(٢)].

وروى عبد الوهاب بن الضحاك من حديث عائشة مرفوعًا : «لا تنزلوهن الغرف ، ولا تعلموهن الكتابة - يعني النساء - وعلموهن المغزل وسورة النور» صححه الحاكم .

قال الذهبي : «بل موضوع ، وآفته عبد الوهاب ، قال أبو حاتم : كذاب»[(٣)].

٥- ومن ذلك كون الراوي وضاعًا ، عرف بوضع الحديث والتقول على النبي ﷺ .

روى صخر بن عبد الله بن حرملة من حديث أنس «أن رسول الله ﷺ صلى بالناس فمر بين أيديهم حمار فقال عياش بن أبي ربيعة : سبحان الله ، فلما سلم رسول الله ﷺ قال : **من المسبح آنفًا»** ، وفيه : «لا يقطع الصلاة شيء» . قال الذهبي : «صخر اتهم بالوضع ، وهذا خبر منكر جدًّا»[(٤)].

---

(١) الذهبي ، تذكرة الحفاظ (٤/١٢٣٢).
(٢) الذهبي ، مهذب السنن [١/ق١٥٦- أ].
(٣) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٢/٤٣٠).
(٤) الذهبي ، مهذب السنن [١/ق٢٣٦- أ].

● **إلصاق الوضاعين المتون الضعيفة بالأئمة والثقات والأسانيد الصحيحة :**

عمد الوضاعون إلى حيلة يدخلون بها أباطيلهم ، ووسيلة يلصقون بها كذبهم بالنبي ﷺ وسنته الغراء ، فقد افتضح أمرهم بين المحدثين ، وصدف عنهم الرواة ، فكانت الرواية عنهم تهمة ، والأخذ من مروياتهم سبة بين النقاد .

فلما انكشف حالهم من خلال نقد علماء الحديث للإسناد ، وتوقفهم عند كل حديث جاء فيه ذكر هؤلاء ، فقد ألصق هؤلاء متونهم الضعيفة أو الموضوعة ببعض الثقات ؛ بل والأئمة المشهورين ؛ رجاء أن يتلقاها الرواة بالقبول ، فتسري هذه الأحاديث في جسد السنة النبوية ، وتنخر في عظامها .

غير أن الله من ورائهم محيط ، فأيد الله علماء السنة ونقاد الآثار للكشف عن تلك الانحرافات ، وفضح هذه الأكاذيب .

وقد كانت المعرفة بالثقات ومروياتهم وسيلة من وسائل كشف ذلك الزيف ، فعدالة الراوي ومستوى ضبطه يدفعان عنه نسبة بعض المتون إليه .

فقد روي عن إسماعيل الخلقاني الكوفي ـ وهو شيعي صدوق ـ أنه قال : « الذي نادى من جانب الطور عبده علي بن أبي طالب» ومع كون الخلقاني شيعيًّا ، فإن ذلك القول لا يليق به ، ولا يخرج من تحت عباءته ، قال الذهبي : « لا يصح عن الخلقاني هذا الكلام ، فإن هذا من كلام زنديق»[(١)].

وروى صالح بن بيان : حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن العبد ليشرف على حاجة من حاجات الدنيا ، فيذكره الله من فوق سبع سموات ، فيقول : ملائكتي ، إن عبدي هذا قد أشرف على حاجة ، فإن فتحتها له فتحت له بابًا إلى النار ، ولكن أزويها عنه ، فيصبح العبد عاضًّا على أنامله يقول : من سبقني ؟ من دهاني ؟ وما هي إلا رحمة رحمه الله تعالى بها**» . قال الذهبي : « صالح تالف ، ولا يحتمل شعبة هذا»[(٢)].

---

(١) الذهبي ، الميزان (١/٢٢٩).

(٢) الذهبي ، العلو ص٥٢ .

وروى محمد بن حميد الرازي ، حدثنا سلمة الأبرش ، حدثنا ابن إسحاق ، عن شريك ، عن أبي ربيعة الإيادي ، عن ابن بريدة ، عن أبيه مرفوعًا : « لكل نبي وصي ووارث ، وإن عليًا وصيي ووارثي » .

قال الذهبي : « هذا كذب ، ولا يحتمله شريك »[١].

فجعل الحافظ الذهبي معرفته بالرواة ومنازلهم في الجرح والتعديل وسيلة للتعرف على كذب ادعاء من وضع تلك المتون عليهم وافترى أنها من مروياتهم .

● **اختيار الوضاعين من يضعون المتون وينسبونها إليهم :**

إن الوضاعين في محاولاتهم نشر مروياتهم يحاولون إلصاقها بأشخاص لهم قبول عام عند الأمة ، حتى إذا نسبت رواية ذلك المتن إلى تلك الشخصية المرموقة : كان ذلك أدعى لانتشارها والوثوق بها .

وكان الإمام علي ﷺ من هذه الشخصيات المحببة إلى القلوب ، فصاغ غلاة الشيعة في فضائله الكثير ، وحملوه ﷺ تبعة بعض ذلك ؛ إذ رووا ذلك عنه ، وهو من ذلك براء .

فقد روى عباد بن عبد الله عن علي قال : « أنا عبد الله ، وأخو رسول الله ، وأنا الصديق الأكبر ، وما قالها أحد قبلي ، ولا يقولها إلا كاذب مفترٍ ، ولقد أسلمت وصليت قبل الناس بسبع سنين » .

وعباد بن عبد الله الراوي عن علي ، قال فيه ابن المديني : ضعيف الحديث ، وقال البخاري : فيه نظر . قال الذهبي : « هذا كذب على علي »[٢].

وكذلك كان شعبة بن الحجاج إمام الحديث وناقد المحدثين ممن ألصق بهم غير مروياتهم ، فقد روى عمر بن يحيى القرشي ، أنا شعبة ، عن ثور ، عن خالد ابن معدان ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « **قلوب ابن آدم تلين في الشتاء ، وذلك أن الله خلق آدم من طين ، والطين يلين في الشتاء** ». قال الذهبي : « هذا حديث غير صحيح ، مركب على شعبة ، وعمر بن يحيى لا أعرفه »[٣].

---

(١) الذهبي ، الميزان (٢/٢٧٣).

(٢) المصدر السابق (٢/٣٦٨).

(٣) الذهبي ، تذكرة الحفاظ (٣/١٠٦٥).

وكان الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة ممن جعله الوضاعون عرضة لتدبيرهم ذلك ، فقد روى يعيش بن هشام : ثنا مالك ، عن الزهري ، عن أنس أن النبي ﷺ : قال : « ما أحسن الهدية أمام الحاجة » قال الذهبي : « هذا باطل عن مالك »[١] ، وفي موضع آخر : « هذا ملصق بمالك »[٢].

وكذا روى سليمان بن سلمة ، حدثنا بقية ، أنبأنا مالك ، عن الزهري ، عن أنس مرفوعًا : « انتظار الفرج عبادة » . قال الذهبي : « هذا باطل عن مالك »[٣].

ولم يكن الفقهاء بمنأى عن ذلك فمما ألصق بابن أبي ذئب ، ما روى معروف بن حسان السمرقندي ، عن ابن أبي ذئب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ومن ربى شجرة حتى نبتت كان له كأجر قائم الليل صائم النهار ، وكأجر غازٍ في سبيل الله دهره » .

قال الذهبي : « هذا إسناد مظلم ، ومتن لا يصح ، ألصق بابن أبي ذئب »[٤].

وكذلك كان ابن أبي ليلى عرضة لذلك ، ومما روي عنه في حديث طويل مرفوع : « . . . فإن صلى ركعة أو ركعتين تطوعًا أضاءت له السموات نورًا ، وقلن أزواجه من الحور العين : اللهم اقبضه إلينا ، فقد اشتقنا إلى رؤيته ، وإن هلل أو سبح تلقاها سبعون ألف ملك يكتبونها إلى أن توارى الحجاب » . قال الذهبي : « هذا موضوع على ابن أبي ليلى »[٥].

ولعل تلك المتون الضعيفة الملصقة بالثقات يكون لها بالغ الأثر في الحط من شأن ذلك الثقة ، والظن أن ذلك مما زاج عليه ، ورواه على جهة الإغفال ، ومن ذلك ما وقع مع أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، فقد قال عنه ابن حبان : أتى بمناكير في آخر عمره ، فروى عن عمه عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ : « **إن الله زادكم صلاة إلى صلاتكم ، وهي الوتر** » ، فنظر ابن حبان

---

(١) الذهبي ، التاريخ (٢٨/١٣٠).
(٢) الذهبي ، السير (١٧/١٧٢ ، ١٧٣).
(٣) الذهبي ، الميزان (١/٣٣٤).
(٤) الذهبي ، السير (١٧/٢٢٧).
(٥) الذهبي ، الميزان (١/٣٩٢).

إلى ظاهر الرواية ، وظن ابن وهب قد وهم في ذلك حال كبره ، ولكن الحافظ الذهبي يرى أن هذا «موضوع على ابن وهب»[١].

● **الوضع وإلصاقه بآل البيت :**

أدرك الوضاعون ما لآل البيت من مكانة عالية ، وما يكنه لهم المسلمون على اختلاف طوائفهم من محبة غامرة وتقدير بالغ ، فصاروا يضعون الأحاديث وينسبونها إليهم ، ويلصقونها بهم . فقد روى اللكن : حدثنا عبد الله بن محمد البدوي ، حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن العلاء ، عن أبيه ، عن زيد بن علي ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبيه علي قال : «كلمات علمهن جبريل رسول الله ﷺ يقولهن في قنوت الفجر : **اللهم اهدنا في من هديت . . .** » الحديث .

قال الذهبي : «اللكن ضعيف ، والخبر غريب ، وهذا مما وضع على أهل البيت»[٢].

وممن وضع عليه الأحاديث من آل البيت علي بن موسى بن جعفر بن محمد الهاشمي ، قال عنه ابن طاهر : «يأتي عن أبيه بعجائب»[٣].

ولكن الحافظ الذهبي لا يرى ذلك قدحًا فيه ، وإنما قدح في الرواة عنه الذين تاجروا باسمه ، وتلاعبوا بكونه من آل بيت النبي ﷺ . قال الذهبي : «وقد كان علي الرضا كبير الشأن ، أهلاً للخلافة ، ولكن كذبت عليه وفيه الرافضة ، وأطروه بما لا يجوز ، وادعوا فيه العصمة ، وغلت فيه ، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا ، وهو بريء من عهدة تلك النسخ الموضوعة عليه» وذكر من تلك الروايات الملصقة به :

«لما أسري بي سقط من عرقي فنبت الورد» . و«ادهنوا بالبنفسج ، فإنه بارد في الصيف ، حار في الشتاء» . و«من أكل رمانة بقشرها ، أنار الله قلبه أربعين ليلة» . و«الحناء بعد النورة أمان من الجذام» . و«كان النبي ﷺ إذا عطس قال له علي : رفع الله ذكرك ، وإذا عطس علي قال له النبي ﷺ : أعلى الله كعبك».

---

(١) الذهبي ، الميزان (١/١١٤).
(٢) الذهبي ، تنقيح التحقيق (٣/٢٣٣).
(٣) الذهبي ، الميزان (٣/١٥٨) ، والمغني (٢/٢٦).

قال الذهبي : « فهذه أحاديث وأباطيل من وضع الضلال »[١].

ومن هؤلاء محمد بن جعفر بن محمد بن علي الهاشمي الحسيني ، قال الذهبي : « فمن الباطل الذي ألصق بمحمد هذا عن أبيه جعفر الصادق أنه قال : « تملك سليمان الدنيا سبعمائة عام وستة أشهر ، وذكر قصة منكرة »[٢].

● **إلصاق المتون الموضوعة بأسانيد الصحيحين :**

كما اهتم علماء الإسلام بالصحيحين حفظًا ودرسًا وشرحًا ، وتعليقًا للفوائد ، وكشفًا عن ما غمض وأبهم ، ودراسة للأسانيد والرواة في هذين السفرين العظيمين فقد كان للوضاعين اهتمامٌ بهما ، ولكن بطريقة أخرى!!

فقد استعار الوضاعون تلك الأسانيد الناصعة ، التي لاقت القبول عند علماء الأمة في محاولة لإلصاق ما يروونه من باطل بتلك الأسانيد ؛ دفعًا لهذه المتون عن دائرة النقد أو الطعن ، وترويجًا لتلك المتون في ثنايا تلك الأسانيد على عوام المحدثين .

ولكن الله تعالى قضى أنه لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله ، وأن الأمة في مجموعها معصومة أن تقبل ما يبدل دينها أو يزيد في شريعتها ما ليس منها ، وذلك الكيد إن خفي على البعض ، فإنه سرعان ما ينكشف للنقاد والجهابذة ممن أفنوا حياتهم في الذود عن السنة المطهرة .

فالحسن بن علي بن عيسى روى حديثًا موضوعًا بإسناد الصحيحين : « إذا كان يوم عرفة غفر للحاج ، وإذا كان يوم منى غفر للحمالين »[٣].

وروى عبد الملك بن مهران :« لا تقصوا الرؤيا على النساء » بسند الصحيحين ، وهذا باطل[٤].

أما محمد بن أحمد بن يزيد البلخي ، « فقد روى بإسناد الصحيح مرفوعًا : إن الله ائتمن على وحيه جبريل ومحمد ومعاوية ». قال الذهبي :« وهذا من وضعه »[٥].

---

(١) الذهبي ، السير (٩/٣٩٢ ، ٣٩٣).
(٢) الذهبي ، الميزان (٣/٥٠٠).
(٣) الذهبي ، التاريخ (١٩/١١٣).
(٤) الذهبي ، المغني (١/٥٧٨).
(٥) الذهبي ، التاريخ (٢٣/٣٢٨).

ومما وضع محمد بن علي الشرابي على سند الصحيح : «أكذب الناس الصواغون والصباغون»[١]. وكذلك مما وضع على سند الصحيحين : «أطعموا نساءكم لبانًا ، فإن يكن ذكرًا يخرج ذكيًا شجاعًا ، وإن يكن جارية حسن خلقها ، وأعظم عجيزتها ، وحظيت عند زوجها»[٢].

وهكذا حرص الوضاعون على إلصاق الموضوعات والأباطيل بالسنة المشرفة ، متخذين كل السبل من أجل تحقيق هذه الغاية الخسيسة ، فقد اختاروا الشخصيات البارزة التي تكفل نسبة هذه المتون إليهم الانتشار والذيوع ثم القبول ، من الأئمة والمحدثين والفقهاء .

واستثمر هؤلاء حب المسلمين قاطبة لآل البيت النبي ﷺ ، وتعصب بعض الطوائف لهم تعصبًا مقيتًا في نسبة ما يريدون ترويجه من الأكاذيب إلى تلك الثلة الطاهرة ، والنسل المبارك .

ولم يكتفوا بذلك ، بل عمدوا إلى أسانيد الصحيحين لما لها من ذيوع وقبول عند العلماء فركبوا عليها المتون الباطلة والمنكرة ، ليخفى أمر هذه المتون على المسلمين .

ولكن علماء الأمة كانوا لتلك المحاولات بالمرصاد ، ولهؤلاء الوضاعين متعقبين ، فأحصوا عليهم كل شاذة وفاذة ، وبرءوا ساحة العلماء الذين ألصقت بهم تلك المتون تخرصًا وعدوانًا . وقام الحافظ الذهبي بدور رائد في ذلك الميدان في سبيل الدفاع عن السنة النبوية المطهرة ، والحفاظ على معينها الصافي في خشية أن تكدره دلاء تلك الطغمة الضالة .

● **علاقة الراوي بالمتن :**

زعم المستشرقون وأذنابهم أن المحدثين قد أهملوا بيئة الراوي ، وأنهم لم يهتموا بالبواعث الدافعة له إلى وضع الأحاديث وافتراء المتون ، وأن جهودهم لم تهتم إلا بالشكل الظاهري للراوي بما يعبر عنه بالعدالة ، ومدى ضبطه وقت التحمل والأداء ، أما دوافعه السياسية والعقدية أو النفسية ، فلم يعتنوا بذلك أو يعيروه أيما اهتمام .

---

(١) الذهبي ، المغني (٢/٢٤٥).

(٢) الذهبي ، التاريخ (١٨/٤٥٥).

وهذه شبهة لا تلبث أمام الحق أن تزول ، وسراب لا يملك أمام الحقائق إلا أن يتبدد ، والحافظ الذهبي من النقاد الذين كان لهم الاهتمام ببيان ذلك والكشف عنه ، وقد ربط الحافظ الذهبي بين المتون الموضوعة وبيئة الراوي الفكرية والنفسية وأظهر أن من أسباب الوضع :

أ- الفرق المنشقة عن أهل السنة :

انشقت بعض الفرق عن النسيج الواحد الذي ميز جسد الأمة الإسلامية ، وتدخلت الآراء والأهواء في تدعيم مواقف كل فريق ، وإذا كانت الخوارج لا تستحل الكذب على رسول الله ﷺ ؛ فإن هناك فرقًا وطوائف أخرى قد استمرأت ذلك ، بل عدت وضع الأحاديث نصرة لمبادئها من القربات . ومن هذه الفرق :

١- الشيعة : ولا أقصد مطلق الشيعة ، وإنما غلاتهم ، إذ كان الشيعي يطلق في الزمان الأول على من يحب عليًا وآل البيت ، ويقدم عليًا على عثمان في الفضل ، من غير أن يضلل الشيخين ولا أمهات المؤمنين ، أما غلاة الشيعة الذين أظهروا من الآراء ما لم يأذن به الله ، واستتروا وراء حب آل البيت لينفثوا سمومهم في جسد هذه الأمة ومعين تشريعها النبوي ؛ فقد كان لهم أثر كبير في الوضع .

ومن هؤلاء : الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن أبو محمد العلوي : روى عن إسحاق ، عن عبد الرزاق ، عن سفيان ، عن ابن المنكدر ، عن جابر رفعه قال : « على خير البشر ، فمن أبى فقد كفر » . قال الذهبي : « هذا مما اتهم بوضعه أبو محمد هذا ، وكان نسابة شيعيًا »[1].

ومن هؤلاء عباد بن عبد الصمد أبو معمر ، فقد روى عن أنس ، قال رسول الله ﷺ : « **صلت علي الملائكة وعلى عليّ بن أبي طالب سبع سنين ، ولم ترتفع شهادة أن لا إله إلا الله من الأرض إلى السماء إلا مني ومن علي** ».

---

(١) الذهبي ، التاريخ (٢٦/١٧٧).

قال ابن عدي : عامة ما يرويه في فضائل علي ، هو ضعيف غال في التشيع ؛ ولذا حكم الذهبي عليه بأنه : « إفك بيِّن »[١].

ومن هؤلاء ميسرة بن عبد ربه ، الذي روى عن عبد الكريم الجزري ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مرفوعًا : « يا علي ، خلقتُ أنا وأنت من نور الله وشيعتنا من نورنا » ، و« تختم يا علي بالعقيق ، فإنه أقر لله بالوحدانية ولك بالإمامة » . قال الذهبي : « ميسرة كان يضع الحديث ، والآفة منه »[٢].

وقد يتورع الشيعي عن الوضع ، ولكنه لا يسلم من روايته تحت تأثير لا شعوري لما يحب ويتبع ، فيقبل فيما يهواه ما لا يقبل في غيره .

فقد روى عبيد الله بن موسى : حدثنا مطر الإسكاف ، عن أنس مرفوعًا : « عليٌّ أخي وصاحبي وابن عمي ، وخير من أترك بعدي ، يقضي ديني ، وينجز موعدي » ، وكذا : « يا أنس من هذا ؟ قلت : هذا علي بن أبي طالب ، فقال : يا أنس ، أنا وهذا حجة الله على خلقه » .

قال الذهبي : « المتهم بهذا وما قبله مطر ، فإن عبيد الله ثقة شيعي ، ولكنه أثم برواية هذا الإفك »[٣].

وإذا كانت الشيعة قد سودت الصفحات في مدح علي ﷺ ، وهو جدير بالمدح ، غير أنه لا يحتاج إلى الأكاذيب لبيان مناقبه ، وفيما صح كفاية ، فإن هناك فريق أخذ على عاتقه القيام بحملة رد الفعل على ما وضعت الشيعة ، فأخذ يرد الخطأ بمثله ، واشترك مع القوم في عموم الكذب على رسول الله ﷺ ، وإن اختلف معهم في خصوص السبب .

فهذا ابن كادش يقول : « وضع فلان حديثًا في حق علي ، ووضعت أنا في حق أبي بكر حديثًا ، بالله أليس فعلت جيدًا؟ »[٤].

وروى علي بن الحسن الكلبي بسنده إلى النبي ﷺ : « يا علي سألت الله فيك ، فأبى عليَّ إلا تقديم أبي بكر » . قال الذهبي : « موضوع لعله آفته »[٥]. يقصد ابن كادش .

---

(١) الذهبي ، الميزان (٢/٣٦٩).
(٢) الذهبي ، التاريخ (٢٥/٢٨٥).
(٣) الذهبي ، الميزان (٤/١٢٨).
(٤) الذهبي ، السير (١٩/٥٥٩).
(٥) الذهبي ، المغني (٢/١١).

وروى أبو الحارث الوراق عن بكر بن خنيس ، عن محمد بن سعيد ، عن عبادة بن نسي ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن معاذ بن جبل مرفوعًا : « إن الله ليكره في السماء أن يخطئ أبو بكر في الأرض »[١].

٢- **الروافض** : وهم قد تعدوا مراحل الغلو في التشيع ، ولم يقنعوا إلا بسب الشيخين وبعض أمهات المؤمنين ، وخالفوا جل الصحابة ، وألقوا التهم جزافًا ذات اليمين وذات الشمال، ولم يتورعوا عن الكذب على رسول الله ﷺ.

قال الذهبي : « وقد كذبت الرافضة على عليٍّ الرضا وآبائه ، رضي الله عنهم أحاديث ونسخًا ، هو بريء من عهدتها ومنزه من قولها »[٢].

ومن ذلك ما رواه داهر بن يحيى الرازي من حديث ابن عباس مرفوعًا : « يا أم سلمة ، إن عليًّا لحمه من لحمي » ، وفيه : « فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ، وهو آخذ بيد علي : هذا أول من آمن بي ، وأول من يصافحني يوم القيامة ، وهو فاروق هذه الأمة ، يفرق بين الحق والباطل ، وهو يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الظلمة ، وهو الصديق الأكبر ، وهو خليفتي من بعدي » . قال الذهبي : « رافضي خبيث . . . فهذا باطل »[٣].

وروي من حديث بهز بن حكيم ، عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « **لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي يوم القيامة** » . قال الذهبي : « قبح الله رافضيًّا افتراه »[٤].

وكذلك قامت حركة مضادة للروافض للوضع حطًّا من شأنهم، ودفعًا لانتحالهم، فقد روى تليد بن سليمان من حديث فاطمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « **أما إنك يا ابن أبي طالب وشيعتك في الجنة ، وسيجيء أقوام ينتحلون حبك ، يمرقون من الإسلام ، يقال لهم الرافضة ، فإن لقيتهم فاقتلهم ، فإنهم مشركون** » . قال الذهبي : « فهذه آفة تليد ، فإنه متهم بالكذب »[٥].

---

(١) الذهبي ، العلو ص٦٦ .
(٢) الذهبي ، التاريخ (٢٧٢/١٤).
(٣) الذهبي ، الميزان (٣/٢).
(٤) الذهبي ، تلخيص المستدرك (٣٤/٣).
(٥) الذهبي ، الميزان (١٨/٢).

٣- **النواصب** : وكما تعصبت الروافض لعلي كرم الله وجهه ، تعصبت النواصب عليه ، ووضعوا الأحاديث في مثالبه ، برأه الله مما قالوا ، وجردوه من كل فضيلة ، فمن ذلك ما روي من حديث عروة قال : « كانت حفيت أظافير علي من كثرة ما كان يتسلق على أزواج النبي ﷺ » .

قال الذهبي : « هذا حكاية باطلة ، لعلها من كذب النواصب ، قبحهم الله » .

ب ـ المذاهب العقدية :

وكان أنصار المذاهب العقدية يضعون الحديث في نصرة مذاهبهم الباطلة ، ومن ذلك :

١- **المجسمة** : فقد روى القادسي ، حدثنا محمد بن حماد ، عن مقاتل ابن سليمان ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال :« إذا كان يوم القيامة ينادى منادٍ : أين حبيب الله ؟ فيتخطى صفوف الملائكة حتى يصير إلى العرش ، حتى يجلسه معه على العرش ، حتى يمس ركبته » .

قال الذهبي :« فهذا لعله وضعه أحد هؤلاء أصحاب مقاتل أو القادسي »[(١)].

وقد روى أحمد بن منصور أبو السعادات : « وبين يدي الرب لوح فيه أسماء من يثبت الصورة والرؤية والكيفية ، فيباهي بهم الملائكة . قال الذهبي : « فهذا هو الشيخ المجسم الذي لا يستحيي الله من عذابه ، إذ كيف وافترى »[(٢)].

٢- **الجهمية** : فقد روي عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « **إن الله خلق الفرس ، فأجراها فعرقت ، ثم خلق نفسه منها** » . قال الذهبي : « هذا مع كونه من أبين الكذب ، هو من وضع الجهمية ؛ ليذكروه في معرض الاحتجاج به على أن نفسه اسم لشيء من مخلوقاته »[(٣)].

٣- **المرجئة** : وقد روى داود بن المحبر ، حدثنا معارك بن عباد القيسي ، عن عبد الله بن سعيد ، عن أبيه ، عن أبي هريرة مرفوعًا : « إن من تمام إيمان العبد

---

(١) الذهبي ، الميزان (١٧٤/٤).

(٢) المصدر السابق (١٥٩/١).

(٣) المصدر السابق (٥٧٩/٣).

أن يستثني في كل حديثه» . قال الذهبي : «هذا الحديث الباطل ، قد يحتج به المرقة الذين لو قيل لأحدهم : أنت مسيلمة الكذاب لقال : إن شاء الله»[١].

٤- **القدرية :** روى جعفر بن جسر بن فرقد عن أبيه ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة : سمع النبي ﷺ يقول : «**إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فالسعيد من وجد لقدمه موضعًا ، فينادي منادٍ من تحت العرش : ألا من برأ ربه من ذنبه وألزمه نفسه فليدخل الجنة**» . قال الذهبي : «هذا منكر ، يحتج به القدرية»[٢].

٥- **الكرامية :** فقد روى إسحاق بن محمشاد حديثًا عن النبي ﷺ : «يجيء في آخر الزمان يقال له محمد بن كرام ، تحيا السنة به» . قال الذهبي : «هو وضعه بقلة حياء . . . فانظر إلى المادح والممدوح»[٣].

جـ ـ التعصب للمذهب الفقهي :

قد يطغى حب إمام المذهب في قلب تلامذته ومحبيه ، وقد تكون لدى أتباع ذلك المذهب القناعة الكاملة بصواب المذهب في المسائل الأصلية والفرعية ، غير أن ذلك لا ينبغي أن يدفع جهلة الأتباع إلى التخرص على رسول الله ﷺ وحكاية ما يحلو لهم على لسانه الشريف الطاهر ، ولكن البعض قد وقع في ذلك .

ومن هؤلاء أحمد بن عبد الله بن خالد بن موسى ، الذي حاول نصرة المذهب الحنفي والثناء على أبي حنيفة ، ولو على سبيل الوضع ، وأبو حنيفة غني عن أن يُكذب على رسول الله ﷺ لبيان مناقبه . قال الذهبي : «ومن موضوعاته : يكون في أمتي رجلاً يقال له النعمان بن ثابت يكنى أبا حنيفة ، يجدد الله سنتي على يديه»[٤].

ومنهم أبو العباس المنصوري قال : حدثنا الرمادي ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده مرفوعًا : «أول من قاس إبليس ، فلا تقيسوا» فهو يحارب القياس ومن يقول به ، ولكن تخرصًا على رسول الله ﷺ ؛ حتى يلقى رأيه قبولاً .

---

(١) الذهبي ، الميزان (٤/١٣٤).
(٢) المصدر السابق (١/٤٠٤).
(٣) المصدر السابق (١/٢٠٠).
(٤) الذهبي ، التاريخ (١٨/٥٦).

قال الذهبي : « فالحمل فيه على المنصوري ، وكان ظاهريًا »[١].

د ـ الموقف من الحكومات :

إن موقف الوضاع من الحاكم تأييدًا أو معارضة ، رغبة أو رهبة له دور كبير لدى ضعاف الإيمان ومحدودي العقول ؛ لإرضاء ذلك الحاكم أو التحريض عليه ، من خلال صياغة أكاذيب تؤيد ذلك ونسبتها إلى النبي ﷺ .

ومن ذلك رواية أبي البختري : « لا سبق إلا في خف أو حافر » . قال الذهبي : « فزاد فيه : أو جناح ليسر بذلك الخليفة »[٢].

وروى خلف بن هشام ، حدثنا حماد بن زيد ، عن يحيى بن سعيد قال : غدوت مع يوسف بن عبد الله بن سلام في يوم عيد ، فقلت له : كيف كانت الصلاة على عهد عمر؟ قال : كان يبدأ بالخطبة قبل الصلاة » . قال الذهبي : « غريب جدًا »[٣].

ولا يخفى ما في ذلك من دعم وتأييد لموقف خلفاء بني أمية الذين بدءوا بالخطبة إرغامًا للناس على سماعها قبل الصلاة .

وإن كان تزيين ما يفعله الحكام من أسباب الوضع رغبة أو رهبة ، فإن هناك طريقة للثورة وعدم الاستكانة اتخذت من وضع الحديث في المثالب سبيلاً لها .

من ذلك عن النبي ﷺ : « **ما لي أريت بني الحكم ينزون على منبري نزو القردة** » . قال الذهبي : « لم تصح »[٤].

ومن ذلك ما رواه عطية عن أبي سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً ، ودين الله دغلاً ، وعباد الله خولاً** » .

قال الذهبي : « وكان عطية مع ضعفه شيعيًا غاليًا »[٥].

هـ ـ تفضيل قبيلة أو بلدة :

التعصب للقبيلة أو البلدة ودعه الإسلام ، وقال النبي ﷺ : « **دعوها إنها منتنة** » قد حول الله العصبيات المتناحرة إلى عصبية واحدة وانتماء واحد ، وهو الإسلام ؛ لذلك قال سلمان رضي الله عنه :

أبـي الإسـلام لا أب لـي سـواه ... إذا افتخـروا بقـيس أو تمـيم

---

(١) الذهبي ، الميزان (١/١٣٢ ، ١٣٣).
(٢) الذهبي ، التاريخ (١٣/٤٩٢).
(٣) الذهبي ، السير (٣/٥١٠).
(٤) المصدر السابق (٢/١٠٨).
(٥) الذهبي ، التاريخ (٥/٢٣٢ ، ٢٣٣).

لكن كثير بن الربيع السلمي قد حدث عن سفيان عن الزهري عن أنس : « فذكر خبرًا موضوعًا في فضل بني سليم »[١].

أما أوس بن عبد الله بن بريدة المروزي فقد روى عن أخيه سهل ، عن أبيه ، عن جده أن النبي ﷺ قال : « **ستبعث بعدي بعوث ، فكونوا في بعث خراسان ، ثم انزلوا كورة يقال لها : مرو ، ثم اسكنوا مدينتها ، فإن ذا القرنين بناها ودعا لها بالبركة ، لا يصيب أهلها سوء** » .

قال الذهبي : « هذا منكر »[٢] ، ولا يخفى دلالة ذلك مع كون الراوي مروزيًا .

و ـ تنفيق سلعة :

تساقط الوضاعون ، وبلغت الجرأة والانحطاط بهم إلى أن صار بعضهم يكذب على رسول الله ﷺ لأتفه الأسباب ، ولو من أجل دراهم معدودة .

فهذا محمد بن الحجاج اللخمي الواسطي ، يروي عن عبد الملك بن عمير ، عن ربعي ، عن حذيفة مرفوعًا :« أطعمني جبريل الهريسة لأشد بها ظهري لقيام الليل ». قال الذهبي : « فهذا من وضع محمد ، وكان صاحب هريسة »[٣].

وروى عبد الرحمن بن الحارث الكفرتوثي : نا بقية ، نا ثور ، عن خالد بن معدان ، عن معاذ مرفوعًا : « لو تعلم أمتي ما لها في الحلبة لاشتروها بوزنها ذهبًا » . وعد ذلك الذهبي من بلاياه[٤].

● المرونة في معرفة مصدر الضعف :

الحافظ الذهبي ليس له قاعدة مطردة يحكم من خلالها على مصدر الضعف في متن الحديث الشريف ، وإنما لكل حديث نقد خاص يؤثر في ذلك ما يحتف به من قرائن وما يحيط به من خبرات الحافظ ، فالحافظ الذهبي يطلق الاتهام يقينًا تارة ، وأخرى يبرئ ساحة بريء ، وثالثة يتردد لاستواء الاحتمالات وأحيانًا لا يتعرف على مصدر الضعف ، ولا يأنف من ذكر ذلك ، وهو الناقد الجهبذ الذي طبقت شهرته الآفاق في ذلك الميدان .

أ- معرفة مصدر الضعف :

ومن ذلك ما رواه خالد بن إسماعيل ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : « ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ﴾ (التحريم:٣) ، قال : أسر

---

(١) الذهبي ، المغني (١٢٨/٢).
(٢) الذهبي ، الميزان (٢٧٨/١).
(٣) المصدر السابق (٥٠٩/٣).
(٤) الذهبي ، التاريخ (٣٢٦/١٨).

إليها أن أبا بكر خليفتي من بعدي» ، فجعله الحافظ الذهبي من موضوعات خالد ابن إسماعيل[١].

وروى محمد بن داود الرملي من حديث ابن مسعود : «قلت : يا رسول الله ، ما منزلة علي منك؟ قال : منزلتي من الله عز وجل» . قال الذهبي : «فهذا من وضع هذا الجاهل»[٢].

ب ـ تبرئة ساحة أحد الرواة :

قد ينسب الوهم لأحد الرواة ، ويكيل له المجرحون الاتهامات ، ويضعون تلك المناكير في ترجمته ، وبدراسة الأسانيد مرة أخرى يتبين مصدر الوهم الحقيقي .

ومن ذلك ما أورده ابن عدي في ترجمة علي بن عاصم ، عن حميد ، عن أنس مرفوعًا : «من قرأ يس في كل ليلة ابتغاء وجه الله غفر الله له» .

قال الذهبي : «وقد أساء ابن عدي في إيراده هذه البواطيل في ترجمة علي» ، ثم حمل على العلاء بن مسلمة الراوي عنه ؛ لأنه متهم بالكذب .

وكذلك ساق له ابن عدي أيضًا من رواية عبد القدوس الباجدائي ، حدثنا علي ابن عاصم ، عن حميد بن أنس مرفوعًا : «من أكل الطين واغتسل به فقد أكل لحم أبيه آدم واغتسل بدمه» . قال الذهبي : «حاشا علي بن عاصم رحمه الله أن يحدث بهما ، فإني أقطع بأنه ما حدث بهما ، والعجب من ابن عدي مع حفظه ، كيف خفي عليه مثل هذا ، فإن هذين من وضع عبد القدوس فيما أرى»[٣].

وكذا أورد ابن عدي في ترجمته لعمر بن سنان ، حدثنا سليمان بن سلمة ، حدثنا ابن الليث ، حدثني عمر بن شاكر ، سمعت أنسًا ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**من حمل على أمتي أربعين حديثًا بعثه الله فقيهًا عالمًا**» . قال الذهبي : «هذا من وضع سليمان ، فينبغي أن يكون في ترجمته»[٤].

جـ ـ التردد في معرفة مصدر الضعف :

قد تتساوى الاحتمالات بين هالكين أو ضعيفين ، فيتردد الحافظ أيهما صاحب الوهم ، أو أيهما قام باختلاق ذلك المتن ، فيسجل الذهبي ذلك التردد ، لعل الله

---

(١) الذهبي ، التاريخ (١٤/١٣٤).
(٢) الذهبي ، الميزان (٣/٥٤٠).
(٣) المصدر السابق (٣/١٣٧).
(٤) المصدر السابق (٣/٢٠٤).

تعالى يفتح على من بعده بمعرفة ذلك ، وإن كان للحافظ الذهبي فضل تضييق نطاق البحث .

ومن ذلك : ما حدث به أبو عباد الزاهد ، عن مخلد بن الحسين ، من حديث أنس مرفوعًا : « المرجئة والقدرية والخوارج والروافض يُسلب منهم ربع التوحيد ، فيلقون الله كفاراً مخلدين في النار » .

قال الذهبي : « فما أدري أهو وضعه أو الراوي عنه محمد بن يحيى »[١] .

ومن ذلك ما حدَّث به أحمد بن محمد المخرمي عن عبد العزيز بن الرماح ، من حديث ابن عباس قال : « لما قتل ابنُ آدم آخاه قال آدم عليه السلام :

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذي طعم ولون ... وقل بشاشة الوجه المليح

فأجابه إبليس :

تنح عن البلاد وساكنيها ... فبي في الخلد ضاق بك الفسيح

قال الذهبي : « فالآفة المخرمي أو شيخه »[٢] .

د ـ عدم التعرف على مصدر الضعف :

وقد لا تكفي المعطيات الحديثية الحافظ لاكتشاف مصدر الضعف ، فيعلن بلا حياء أو خجل عدم معرفته بذلك ، فلا أدري نصف العلم ، وإنما يلام المرء إذا ادعى علم ما لم يعرف .

فمن ذلك حديث أبي أمامة الباهلي : « من قرأ ثلث القرآن أُعطي ثلث النبوة ، ومن قرأ ثلثي القرآن أُعطي ثلثي النبوة ، ومن قرأ القرآن كله أُعطي النبوة كلها » .

قال الذهبي : « هذا حديث منكر غير صحيح ، ما أدري من وضعه »[٣] .

ومن ذلك حديث علي مرفوعًا : « أربعة أبواب من أبواب الجنة مفتحة : الإسكندرية ، وعسقلان ، وقزوين ، وعبادان ، وفضل جدة على هؤلاء ، كفضل بيت الله على سائر البيوت » .

قال الذهبي : « والسند إليه ظلمة ، فما أدري من افتعله »[٤] .

---

(١) الذهبي ، الميزان (٤/٥٤٤).
(٢) المصدر السابق (١/١٥٤ ، ١٥٥).
(٣) الذهبي ، معجم الشيوخ (٢/٦٩).
(٤) الذهبي ، الميزان (٢/٦٦٦).